

فهم النصوص في ضوء الاختلاف اللهجي

Understanding the texts in light of the dialectical difference

الدكتور: عبد العزيز مصباحي

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الوادي - (الجزائر)

yacinemosbahi82@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2023/04/15 تاريخ القبول: 2023/09/04 تاريخ النشر: 2023/12/05

مُلَخَّصٌ:

أدّى اختلاف اللهجات إلى تعدد المعاني والأفهام التي تؤديها بعض الألفاظ والمصطلحات، فتختلف قراءة المتلقي باختلاف لهجته عن لهجة منتج الخطاب.

ويطالعنا -في هذا الباب- ما ورد في التراث أن رجلاً من العرب دخل على مَلِكٍ من ملوك حِمَيْر، فقال له المَلِكُ: ثَبِّ أَيُّ أَقْعُدْ، فَوَثَّبَ (قَفَزَ) فَتَكَسَّرَ، فقال المَلِكُ: مَنْ دَخَلَ ظَفَارٍ حَمَرَ، أَي تَكَلَّمَ بِالْحِمَيْرِيَّةِ.

وما يلاحظ أن قراءة الرجل العربي للخطاب اختلفت عن قراءة منتج الخطاب، والسبب في ذلك تعدد لهجات المتكلم والمخاطب، لأن الفعل "وَثَّبَ" عند الحِمَيْرِيِّين يدلُّ على القُعود على غير ما اتفق عليه السواد الأعظم من اللغويين.

ونهدف -من خلال هذه الورقة البحثية- أن نبين دور اللهجات العربية في تعدد المعاني والقراءات الخطابية، مع تقديم نماذج وأمثلة تطبيقية من التراث العربي.

كلمات مفتاحية:

لغة؛ فهم؛ نص؛ توجيه؛ اختلاف لهجي.

ABSTRACT :

The different dialects have led to the multiplicity of meanings made by certain words and terms, and therefore the understanding of the recipient differs from that of the sender.

And in this section we see what is mentioned in the inheritance that a nomadic man entered one of the kings of "HIMYAR", and the king said to him: "THIB": Jump, it that is to say: Sit down, but it broke, and the king said: The one who entered "DHAFAR" He must speak the language of "HIMYAR".

What is noticed is that reading the speech of the nomadic man differs from that of the speech producer.

The reason is that the dialect differs between the sender and the recipient, since the verb "WATHABA" by the "Himyarites" indicates bases other than those agreed by the vast majority of linguists.

We aim - through this research document - to demonstrate the role of Arabic dialects in the plurality of meanings and rhetorical readings, while providing practical examples and examples of Arab heritage.

Keywords:

language; to understand; text ; analysis; dialectal difference.

اللغة ظاهرة اجتماعية، وهي وسيلة التواصل بين الأفراد والجماعات اللغوية، وتختلف باختلاف الجماعات اللغوية التي تمارسها.

ومن بين حدود اللغة الأكثر تداولاً تعريف "ابن جني" الذي يرى أنها عبارة عن «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»¹، فهي «نظام صوتي يمتلك سياقاً اجتماعياً وثقافياً، له دلالاته ورموزه، وهو قابل للنمو والتطور»².

ويعد تعريف ابن جني من التعريفات الدقيقة إلى حد بعيد؛ لأنه يذكر الجوانب المميزة للغة. حيث أكد "ابن جني" أولاً على الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وأشار أيضاً إلى أنها تُستخدم في المجتمع، فلكل قوم لغتهم³، وتختلف اللغة باختلاف الأقوام والجماعات اللغوية.

ويتضح لنا أن المقصود باللغة الصوت الذي يحمل رموزاً تعارف جماعة من الناس على دلالاتها لجعلوها وسيلة التواصل بينهم. وهي ضرورية لأي أمة من الأمم، فدونها لا يمكن أن يتواصل الناس، ويقضوا حوائجهم، كما أنها مقياس تطور الحضارات، فهي ميزان أي مجموعة اجتماعية إن شاء رفع من قدرها وإن شاء حطّ منه.

ويمكن أن يتسبب الأفراد في الجماعة اللغوية الواحدة في الزيادة من قدر لغته، بالاحتفاظ بها وصونها والرفع من قيمتها، كما يمكن لأولئك الأفراد أن يسهموا بقصد أو عن غير قصد في انحطاطها وتقهرها في ميزان اللغات المختلفة.

واللغة ظاهرة إنسانية عجيبة، وهي عبارة عن منظومة متكاملة من العلامات الدالة منطوقة أو مكتوبة أو إشارية أو رمزية أو غيرها⁴.

واللغة ظاهرة اجتماعية؛ لأنها من العناصر المسهمة في الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع، بالإضافة إلى دورها الأساس الذي يتلخص في «توصيل المعلومات الافتراضية أو الحقيقية»⁵.

ونكاد نجزم أنه ما من لغة حظيت بعناية ودراسة مثل ما حظيت به العربية لما تحمله في نفوس أبنائها من قدسية، ولا عجب في ذلك فهي لغة القرآن الكريم. قال الثعالبي: «... من أَحَبَّ الله تعالى أَحَبَّ رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، ومن أَحَبَّ الرسول العربيَّ أَحَبَّ العرب، ومن أَحَبَّ العربَ أَحَبَّ العربية؛ التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العُجم والعُرب، ومن أَحَبَّ العربية عُني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها...»⁶.

إن الاعتزاز باللغة لدليل على عظمة شأنها وعلو مكانتها؛ لأنها لغة القرآن الكريم الذي أنزل علي خير الخلق أجمعين، كما أن لها دوراً في قيام الحضارات واندثارها؛ لأنها تمثلها بكل ما تحمله الكلمة من معاني.

وتختلف اللغة عن اللهجة، فهي عامة شاملة، حيث إن لكل لغة جملة من اللهجات التي ترتبط بها، منها ما يمثل صوراً نطقية مختلفة للأصوات اللغوية، ومنها ما يختلف عنها ببعض الخصائص الأخرى.

- مفهوم اللهجة:

عرفت العربية اختلاف اللهجات منذ العصر القديم، فقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب لهجتها، ولما طفق العلماء يجمعون اللغة فإنهم عادوا إلى تلك القبائل واختاروا منها الأفصح، فتشكلت لغة قريش، التي نزل بها القرآن الكريم، فعلاً شأناً وحظيت بمكانة رفيعة، فانكب العلماء عليها بالاهتمام والدرس.

وعلى الرغم من التثام اللهجات الفصيحة وانصهارها في لغة واحدة، وهي لغة قريش الفصحى، فإن هذه اللهجات لم تَفَن، وإنما حافظت على كيانها ووجودها؛ كونها تعبر عن ثقافة القبيلة، فهي جزء من مقوماتها ورمز لسيادتها وسبب لوجودها.

واللهجة في اللغة هو اللسان، جاء في معجم "الصحيح": «وَاللَّهْجَةُ: اللِّسَانُ، وَقَدْ يُحْرَكُ، يُقَالُ: فَلَانَ فَصِيحَ اللَّهْجَةِ وَاللَّهْجَةُ»⁷. وأضاف ابن فارس: «وَسَمَّيْتُ لَهْجَةً لِأَنَّ كُلَّ يَلْهَجُ بِلُغَتِهِ وَكَلَامِهِ»⁸، ومعنى ذلك أن كل فرد من الجماعة اللغوية إنما يتكلم بلسان قومه ولغته، التي تعلمها خلال مراحلها الأولى للاكتساب اللغوي.

أما في الاصطلاح فاللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة أو هي قيود صوتية تلحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معينة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض⁹.

وترتبط اللهجات بعلم الأصوات ارتباطاً وثيقاً، حيث إن الكثير من اللهجات القبلية تختلف عن اللغة الفصيحة من ناحية الأصوات، وخاصة القلب والإبدال، والتسهيل، والتيسير النطقي لبعض الحروف التي تتميز بالعسر في النطق، أو في بعض صفاتها المميزة لها. ولن نطيل الحديث كثيراً في موضوع اللهجة، لأن موضوع المقال منعقد في الأساس عن التمايز المعنوي الذي يتحقق من خلال اللهجات، لذلك سننتقل مباشرة للحديث عن الخطاب.

- الاختلاف اللهجي بين قبائل العرب:

إنَّ اختلاف اللهجات يدل على ثلاثة معاني:

الأول: وهو ما يكون من تباين اللهجات وتنوع المنطق؛ وهذا رأس الأنواع؛ لأنه يشمل اختلافهم في إبدال الحروف وحركات البناء والإعراب واختلاف بناء الكلمة في اللغتين والتقديم والتأخير والحذف والزيادة ونحوها مما يرجع في جملته إلى صيغة الكلمة أو كيفية النطق بها. والعرب أنفسهم يعدون مثل ذلك في اللغات الأصلية التي تمثل نوعاً من أنواع الاختلاف الطبيعي فيهم؛ وقد رَوَوْا أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: ما ترى برجل ظَعْنَى بطني؟ فعجب عمر ومن حضر، وقال: ما عليك لو قلت: ضَعْنَى بطني؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إنها لغة! فكان عجبهم من هذه أشد¹⁰.

وما يلاحظ هنا أن الرجل نطق كلمة: ضَعْنَى، بالظاء المُشالة، على الرغم من أن قياسها يكون بالضاد، وفي هذا دلالة واضحة على اختلاف لغات العرب ولهجاتها، وكذلك قدرتهم على التمييز عند نطق حرفي: الضاد والظاء وهو ما يفتقد إليه أغلب المتحدثين بالعربية في الوقت الراهن خلا بعض الأكاديميين والمشتغلين في حدود اللغة، على الرغم من أنهم يمثلون نسبة ضئيلة جداً.

الثاني: ما يكون من اختلاف الدلالة للفظ الواحد باختلاف اللغات التي تنطق به؛ ومن هذا النوع المترادف والأضداد وغيرها مما سيأتي في محله، ورووا أن أبا هريرة لما قدم من "دَوْس" عام "خير"، لقي النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقعت من يده السكين، فقال له: "ناولني السكين!" فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ، فكرر له القول ثانية وثالثة. وهو يفعل كذلك، ثم قال: ألمدية تريد؟ وأشار إليها، فقيل له: "نعم!" فقال: أو تسمى عندكم سكيناً؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ، و"دَوْس" بطن من الأزد¹¹.

ويشير هذا إلى أن المعنى الواحد قد يحتمل أكثر من لفظ، وكذلك اللفظ الواحد قد يشتمل أكثر من معنى، وقد يكون المعنيان متضادين، ويسمى ذلك عند علماء اللغة بالأضداد. وفي المثال السابق بياناً على أن مصطلح السكين مرادف لكلمة "مدية"، وهي المعنى الجاري على ألسنة القوم.

الثالث: ما يكون قد انفرد به عربي مع إطباق العرب على النطق بخلافه؛ وهذا أقل الأنواع. وإنما يعد من اختلاف اللغات، لجواز أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة طال عهدها وعفا رسمها؛ وقد رَوَوْا عن أبي حاتم أنه سأل أم الهيثم الأعرابية عن نوع من الحب يسمى "اسفيوش". ما اسمه بالعربية؟ فقالت: أرني منه حبات! فأراها، فأفكرت ساعة ثم قالت: هذا البحدق! ولم يسمع ذلك من غيرها¹².

ويبدو من خلال القول السابق أن مصطلح "البحدق" مخصوص بهذه الأعرابية؛ لأنه لم يسمع من أعرابي آخر غيرها، فلعلها سمعت اللفظة عن بعض الأعراب الذين نقلوها عمّن عاش في العصور الغابرة.

وقد عقد "أحمد بن فارس" في كتابه "فقه اللغة" فصلاً بين فيه وجوه اختلاف اللهجات العربية؛ حيث نسب فيه بعض اللهجات إلى أصحابها وترك الباقي دون نسبة، وسمي هذا الباب: "باب القول في اختلاف لغات العرب" يقول فيه: اختلاف لغات العرب من وجوه أحدها: الاختلاف في الحركات كقولنا "نستعين" و"نستعين" بفتح النون وكسرها، قال "الفراء" هي مفتوحة في لغة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بكسر النون¹³.

ويعزو علماء العربية اختلاف اللهجات إلى العديد من الأسباب، فهذا "أبو الحسن الأخفش" يرى أن اختلاف لغات العرب إنما جاء من قبل أن أول ما وضع منها وضع مختلفاً وإن كان متمشياً مع القياس ثم حدثت بعد ذلك ألفاظ كثيرة لحاجة الناس إليها وهذه الألفاظ قيسست على ما كان في الأصل مختلفاً.

أو أن تكون الألفاظ الموضوعية أولاً ليست مختلفة، ثم حدثت ألفاظ أخرى للحاجة إليها خالفت القياس الأول إلى قياس ثانٍ جارٍ في الصحة مجرى الأول¹⁴.

ويؤيد ابن جني ذلك فيقول: «ولا يبعد عندي ما قال من موضعين أحدهما سعة القياس.. والآخر أنه كان يجوز أن يبدأ الأول بالقياس الذي عدل إليه الثاني، فلا عليك أيهما تقدم، وأيهما تأخر. فهذا طريق القول على ابتداء بعضها ولحاق بعضها به»¹⁵.

وقد يكون اختلاف اللهجات العربية إنما جاء من تفرق القبائل في شبه الجزيرة العربية وخضوعها لعوامل التطور الجغرافية والاجتماعية والفردية والصراع اللغوي بين اللغة العربية وغيرها من اللغات المجاورة.

وللتصريف حظ لا بأس به في التأثير على التحولات الصوتية اللهجية لبعض الكلمات، شأنه في ذلك شأن الأصوات اللغوية. قال ابن جني في الخصائص: «ومن ذلك اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين نحو «مَبِيع» و«مَخِيط»، رجل «مَدِين» من الدّين، فهذا كله مُغَيَّر. وأصله «مَبِئُوع» و«مَدِينون» و«مَخِيط»، فَعَيَّرَ (...). ومع ذلك فَبَنُو تَمِيم (...) يُتِمُّونَ «مفعولاً» من الياء فيقولون: «مخيط ومكيول»¹⁶.

قال الكلبي: «كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل، ثم يرفع جانب خبائه فيقول: لم أرَ كالיום إبلا ولا غنماً أحسن من هذه، فتسقط طائفة منها وتهلك، فاقترح الكفار منه أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابهم وأنشد: [من الكامل]

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّداً ♣ وإِخَالُ أَنْكَ سَيِّدٌ مَعْيُونٌ¹⁷

فَعَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة القلم: 51].

وردت كلمة «مَعْيُون» في البيت من دون تحويل ولا حذف. لأن العرب تصحح شيئاً من ذوات الواو، حيث سمع عنهم أنهم يقولون: «تَوَبُّ مَصُوءُونٌ»، من: «صَانَ يَصُونُ» و«مَسَكْتُ مَدُوءُوفٌ»، أي «مَبْلُوءٌ»، و«فرس مقوود»، من: «قَادَ يَقُودُ»، و«قَوْلٌ مَقُوءٌ»، من: «قَالَ يَقُولُ». ومن مثل هذا النوع من الاستعمال على الأصل ورد بعض الأمثلة عن العرب مثبتة، كقولهم: "أرض مُورنية" بكسر النون، أي كثيرة الأرناب، وقولهم "كساء مؤرنب" إذا خلط صوفه بوبر الأرناب¹⁸، وكان القياس فيهما أن يأتيَا دون همزة.

- اختلاف المعنى بتعدد اللهجات:

تحقق بعض الألفاظ العربية التي لها أكثر من معنى هذا التعالق النصي الذي يضع الملتقي في متاهة يبحث عن الخلاص، ولعل التورية في البلاغة خير دليل على هذا، وليست التورية ضرباً من أوجه الاختلاف اللهجي، وإنما هي من المشترك اللفظي الذي تعرفه اللغة الفصيحة، وقد تكون بكلمة واحدة، كما قد تكون بجملة أو عبارة.

والتورية هي أن تكون الكلمة بمعنيين، فتريد أحدهما، فتوري عنه بالآخر¹⁹، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله²⁰.

ويقال لها الإيهام والتوجيه والتخيير. والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى، لأنها مصدر ورئت الخبر تورية، إذا سترته وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر. وهي في الاصطلاح، أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجازاً، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة، أنه يريد القريب وليس كذلك، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاماً، ومثل ذلك قول أبي العلاء المعري: [من الطويل]

وَحَرْفٍ كُنُونٍ تَحْتِ رَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ ♣ بِدَالٍ يَوْمُ الرَّسْمِ غَيْرُهُ النَّقْطُ

فمن سمع هذا البيت توهم أنه يريد بـ"راء" و"دال" حرفي الهجاء؛ لأنه صدر بيته بذكر الحروف وأتبع ذلك بالرسم والنقط، وهذا هنا هو المعنى القريب المتبادر أولاً إلى ذهن السامع، والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقرب؛ لأن مراده بـ"الحَرْف" الناقة، وبحرف "النون" تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها، وبـ"راء" اسم الفاعل من رأى إذا ضرب الرئة، وبـ"دال" اسم الفاعل من دلا يدلوا إذا رفق في السير، وبـ"الرسم" أثر الدار، وبـ"النقط" المطر.

ومعنى هذا البيت أن هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل "نون" تحت رَجُلٍ يضرب رثيمها، ولم يرفق بها في السير فهو غير دالٍ، وقد تقدم أن الدَّالِّي هو الرفيق، ويؤم بها داراً غَيْرَ

المطر رسمها، واجتماع هذه الأوصاف دليل على ضعف الناقاة؛ لأنها لو كانت قوية لما احتاجت إلى ضرب رثتها، وإلى الفرق بها مع شدة شوقه إلى ديار أحبابه، وذلك باعث على شدة السير²¹. ولا يحسنُ بلاغيّاً استخدام التورية إلا إذا دعا داعٍ بلاغي يقتضيه حال المتلقّي، وهذا الداعي ممّا يُقصدُ لدى أذكىاء البلغاء، كإخفاء المراد عن العامة وإشعار الخاصة من طرفٍ خفي، وكالتعبير عن المقصود بكلام يتأتّى معه الإنكار عند الحاجة إليه، وكاختبار ذكاء المتلقّي والتأثير في نفسه بما يُعجبه من أداءٍ فنيّ يستخدم فيه الأسلوب غير المباشر حتى الإلغاز، إلى غير ذلك من دواعي.

فليس كلّ كلمة لها معنًى قريب ولها معنًى بعيد على وجه الحقيقة أو المجاز يحسنُ استخدامها، وقصدُ المعنى البعيد بها، على سبيل التورية، دون مراعاة أو ملاحظة داعٍ بلاغي يُقصدُ لدى البلغاء الفطناء²².

لذلك فإننا نجد أمثلة التورية موجودة في كتب متون الأحاديث، وكتب التراث المختلفة، فالنبي صلى الله عليه وسلم استخدم هذا النوع من الأساليب البلاغية (التورية)، كيف لا؟، وهو من أوتي جوامع الكلم، وهو المتمكن من ناصية اللغة والمحيط بها، وكذلك عند الخلفاء الراشدين وفطاحلة الأدب والشعر.

وتختلف التورية عن اللهجات هو أنها تنعقد على المشترك اللفظي، أما اللهجات فالأمر يختلف، حيث إنها لا ترتبط بلفظ مشترك المعاني، وإنما تتحقق؛ لأن معنى الكلمة يختلف من لهجة إلى أخرى؛ لأن اللهجة مرتبطة بالقبيلة والقبائل تختلف في عاداتها وتقاليدها ومعانيها، وتراكيبها اللسانية.

ومن أمثلة هذا الاختلاف اللهجي بين منتج الخطاب ومستقبله ما يروى أن رجلاً دخل على ملك من ملوك "حِمَيْر"، فقال له الملك: ثَبْ، أي أُقعد، فوثب (قفز)، فتكسر، فقال الملك: ليست عندنا عَرَبِيَّةٌ، مَنْ دَخَلَ ظَفَارَ حَمَرَ، أي تكلم بالحميرية. وقوله: عَرَبِيَّةٌ، يُريدُ: العَرَبِيَّةُ، فوقف على الهاء بالتاء، وكذلك لغتهم²³.

والشاهد في هذا المثال أن لغة الحميريين مختلفة؛ لأن معنى الفعل "وثب" لديهم يدل على معنى آخر مخالف تماماً لما اتفق عليه السواد الأعظم من اللغويين.

وسنسوق بعض الأمثلة الأخرى حول بعض الكلمات التي يختلف معناها بين الأقوام أو اللهجات.

- كلمة: "تَرْبُص".

كثيراً ما نسمع هذه الكلمة عند الأكاديميين والطلبة الجامعيين وغيرهم في الجزائر، فيقول الواحد منهم: حصلتُ على تَرْبُصٍ علي في الخارج، ويقول الآخر: "متى تخرج في تَرْبُص؟"، ويقول الثالث: "لم تعجبني معايير التربصات"، والقصد عند أولئك جميعاً "التكوين العلمي".

جاء في الصحاح: «التَرَبُّصُ: الانتظار، والمَتَرَبِّصُ: المحتَكِرُ، ولي في متاعي رُبُصَةٌ أي لي فيه تربص»²⁴، وقد جاءت الكلمة في المعاجم العربية بهذا المعنى، وهو الانتظار. ونستخدمها أيضا عند التعبير عن انتظار الافتراس في الصيد، فنقول: "إن الأسد يتربص بفريسته"، أي إنه كامن غير بعيد يترصد اللحظة المناسبة لاقتناصها. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرات عديدة، منها ما ورد عند الحديث عن عِدَّة المرأة، قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228]، وقوله أيضا: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 234]. ومنها ما ورد في غير العِدَّة، بمعنى الانتظار مطلقا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: 31].

وعلى الرغم من أن معنى الكلمة لا يحمل دلالة التكوين ولا التدريب، إلا أن أغلب الأكاديميين يستخدمونها عند الحديث عن التدريبات العلمية في الخارج، والسبب في ذلك غير معلوم؛ لأن النصوص التنظيمية الجديدة تستخدم مصطلح: تدريب علمية، وإقامة علمية، وعطلة علمية.

وحين بحثنا عن ترجمة كلمة "stage" في القواميس ثنائية اللغة وجدت أن ترجمتها الحرفية هي: "تدريب"، وليس "تربصا" أو ما شابه. وأتذكر ذات مرة حين حصلنا على تكوين علمي بالخارج سنة عشرة وألفين، بعد أن طلبنا من عميد الكلية المستقبلية الأستاذ "حسين ياغي" أن يوقع لنا تقرير التكوين، ظهرت ملامح العجب على محياه، حين قرأ العنوان بالبنط العريض وسط الورقة: "تقرير التربص"، فطلب مني أن أشرح له الكلمة: فقلنا له: معناها: تكوين، فقال لي مازحا مبتسما: "ظننتكما جئتما لتتربصا بي!".

ويتبين لنا من خلال هذا أن اختلاف معاني الألفاظ والكلمات يؤدي إلى اختلاف الأفهام؛ لأن لكل طرفي من المتخاطبين معنى مكنونا في قاموسه اللغوي، به يتواصل.

- كَلِمَةُ: "عِظَام".

جاء في كتاب العين: «العِظَام: جمع العِظْم، وهو قَصَبُ المفاصل»²⁵، وفي الصحاح: «والعِظْمُ: واحد العِظام. وعِظْمُ الرجل أيضاً: خشبةٌ بلا أنساع ولا أداة»²⁶.

واستطرد صاحب المحكم: «والعِظْمُ: الَّذِي عَلَيْهِ اللَّحْمُ من قِصَبِ الْحَيَوَانِ وَالْجَمْعُ أَعْظَمٌ وَعِظَامَةٌ، الْهَاءُ لَتَانِثِ الْجَمْعِ كَالْفَحَالَةِ، قَالَ: [مشطور الرجز]

ثُمَّ أَكَلْتُ الْقَرْتُ وَالْعِظَامَةَ

وَقِيلَ الْعِظَامَةُ: وَاحِدَ الْعِظَامِ. وَعَظَّمَتِ الشَّاةُ: قَطَعَهَا عَظْمًا عَظْمًا، وَعَظَّمَهُ عَظْمًا: ثَرَبَ عِظَامَهُ، وَعَظَّمَتِ الْكَلْبُ عَظْمًا، وَأَعْظَمَهُ إِيَّاهُ: أَطْعَمَهُ، و"عَظُمَ وضاح" لعبة لَهُمْ، يطرحون بِاللَّيْلِ قِطْعَةً عَظْمٍ فَمَنْ أَصَابَهُ فَقَدْ غَلِبَ أَصْحَابَهُ فَيَقُولُونَ: [من الرجز]

عُظِيمٌ وَضَاحٌ ضِحْنٌ اللَّيْلَةُ ♣ لَا تَضِحَنَّ بَعْدَهَا مِنْ لَيْلَةٍ²⁷

وقد ذكرت كلمة "العظم" في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ [البقرة: 259]. وقوله: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 14].

ولهذه الكلمة معنى آخر يختلف عن هذا، وهو كونها جمعاً للصفة المشبهة "عظيم" أيضاً، كـ"كرام" جمع كريم، و"لئام" جمع لئيم، وغير ذلك.

ويطلق على "بيض الدجاج" الذي يؤكل، في بعض لهجات الجزائر أو تونس مصطلح "لُغْطَامٌ" أو "العَظْمُ" أو "العَظْمَةُ"، فعند التسوق من الدكان يقول الزبون: "عُطِينِي زُوجَ عَظْمَاتٍ" أو "كَائِنَ لُغْطَامٍ؟" أو "بَشْحَالٍ لُغْطَامٍ؟" فيفهم حينئذ صاحب المتجر أن المراد إنما هو البيض، وليس "العِظَامُ". [أي جمع عظم]

وقد حدثت حكاية طريفة مع صديق لي ذات مرة حين كنا بزيارة علمية بالمملكة الأردنية الهاشمية، حيث طلب من صاحب "المُول" أن يمنحهُ "عَشْرَ عَظْمَاتٍ"، وكان لهم في بلدهم شيئاً من العجين يُصنع يسمى "العَظْمَةُ"، فأعطاه عشراً منها، فما كان من صاحبنا إلا أن يبين له أنه يريد البيض، وليس ذلك.

إن اختلاف معنى اللفظة بين الطرفين جعل المراد لا يصل إليهما، وقطع حبل الإفهام بينهما، وذلك مردّه في الأساس إلى أنَّ هذه الكلمة مختلفة في قاموسهما اللهجي، ولو أنهما تحدثا بالعربية الفصيحة لزال هذا اللَّبْسُ.

- كلمة: "حوت".

جاء في العين: «الْحَوْتُ: معروفٌ، والجمع: الْحِيتَانُ وهو السَّمَكُ»²⁸، وفي جمهرة اللغة: «الْحَوْتُ: مَعْرُوفٌ وَهُوَ مَا عَظُمَ مِنَ السَّمَكِ، وَالْجَمْعُ حِيتَانٌ وَأَحْوَاتٌ، وَقَالَ قَوْمٌ: بَلِ السَّمَكُ كُلُّهُ حِيتَانٌ، وَبَنُو حَوْتٍ: بَطِينٌ مِنَ الْعَرَبِ»²⁹.

والحيتان كائنات بحرية عملاقة، جاء في موسوعة "ويكيبيديا" على شبكة الأنترنت: «هو اسم شائع يطلق على ثدييات بحرية مختلفة من رتبة "الحيتانيات" ... وتشمل هذه الفصيلة الحوت الأزرق، والحوت الأحدب، والحوت المقوس الرأس، وحوت المنك، تمتلك جميع الحيتان أطراف أمامية على شكل زعانف، وذيل أفقي، وفتحات أنف في الجزء العلوي من الرأس. كان البشر يصطادون الحيتان لقرونٍ خلت للحمها وكمصدر للمواد الأولية الثمينة كالزيت للإضاءة»³⁰.

ويسمى الحوت: النون؛ لذلك يقال ليونس عليه السلام: "ذي النون"، فهو الذي التقمه الحوت، قال تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْخُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصفافات : 142]، وقوله أيضا: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم : 48].

وعلى الرغم من أن "الحوت" يحمل دلالة خاصة، وهو الحيوان الثديي الضخم، الذي يصل طوله إلى عشرات الأمتار، إلا أن هذا الاسم يطلق في بعض المناطق من الجزائر وتونس، وكذلك المغرب على "السّمك" الصغير، كـ"السردين" مثلا، فنحن لا نعتقد أن متسوقا يطلب من صاحب المسمكة أن أعطني السّمك، بل سيسأله لا محالة عن سعر الحوت أو السردين، إن مصطلح "الحوت" قريب من "السردين" من حيث النوع الحيواني، فكلاهما كائن بحريّ له زعانف، ويختلف السّمك عن الحوت أن الأول بيوض والثاني ولودّ من الثدييات؛ لكن العرف الاجتماعي يجعلهما في مرتبة واحدة، وربما هذا يتطابق مع ما ذهب إليه اللغويون من إطلاق مصطلح "الحوت" على "السّمك". ولكن ما يجب الإشارة إليه هو أن مصطلح "السّمك" لا يطلق على "الحوت" أبدا.

ومن مثل هذه المفردات والتراكيب ما يستخدم في شبه الجزيرة العربية وفي بعض لهجات بلدان المغرب العربي من مثل: "كُبَّة" أي: "اتركه"، وتدل في مناطق أخرى "اسكبه"، فحين يقول من يحمل إناء: "كُيّه" بمعنى: "اتركه هنا"، قد يفهم الآخر: "اسكبه". وفي لبنان تعني الكلمة "ارمه من يدك". وقد يكون في هذه الكلمة حذفٌ للهمزة والسين من أولها تخفيفا، فتحوّلت من "إِسْكَبُهُ" إلى "كُبُهُ" ثم "كُبَّة" قياسا على وزن الأفعال في الدارجة. ومن ذلك كلمة "باسل" التي تعني في بعض المناطق من الجزائر الإنسان غير المحبوب، أو غير المرغوب فيه، أو الثقيل، على الرغم من أنها مشتقة في اللغة العربية الفصحى من البسالة، وهي تدل على الشجاعة والإقدام وعدم الرجوع إلى الوراء. وهناك جملة من التراكيب والمفردات الأخرى التي تصب في هذا الإطار، وهي كثيرة، بحاجة إلى دراسة وبحث عميق لمحاولة حصرها، وبيان ما بها من خصائص لسانية تمايزية.

خاتمة:

يمكننا في آخر هذه المقالة أن نورد النتائج الآتية:

- اللغة أشمل من اللهجة، وهي وعاء الفكر العام، وآلة التفكير والتصور والإنتاج.
- تتفرع اللهجات عن اللغة، وتؤدي دورها في التعبير والتواصل بين الأفراد والجماعات اللغوية المختلفة، وهي تتحقق من خلال بعض التغيرات الصوتية والصرفية، وغير ذلك، وهي تهدف بالدرجة الأولى إلى التيسير والتسهيل النطقي، وتعجيل الإفهام.
- للهجات المختلفة يد في تعدد المعاني والقراءات الخطابية؛ لأنها مرآة كل طرف في عملية التواصل، وأداته التي يحتكم عبرها إلى الوصول إلى الفائدة المرجوة من الخطاب.
- ولاحظنا كيف تسيطر بعض العبارات والمصطلحات على المشتغلين بالخطاب، وتجعلهم أسيري قاموسهم اللغوي اللهجي، وهذا أمر طبيعي.
- اختلاف المعنى المتأني من طريق التورية، يتميز عن اختلاف المعنى من طريق اللهجات.
- اختلاف معنى الكلمات من طريق اللهجات يمكن أن يكون خادماً للغة، كما أنه يمكن أن يكون غير ذلك، خاصة مع الحملات المسيئة التي تتعرض لها لغتنا في شتى أصقاع العالم.
- ومهما يكن من أمر، فإن هذه الأساليب والكلمات كثيرة في الاستعمال اللغوي بين مختلف الطوائف المجتمعية والجماعات اللغوية، ولذلك فإنه يحسن لو يتم جمعها في سفرٍ مستقل أو ضمن مشروع بحث تكويني لجمعها ودراستها، وهي في الحقيقة تتطلب فريقاً من الباحثين حتى تكون الفائدة أعم وأشمل.

الهوامش والإحالات

- ¹ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 4، [د.ت.]، 34/1.
- ² محمد الصالح الشنطي، المهارات اللغوية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط 4، 1996م، ص: 448.
- ³ ينظر: محمود فهد حجازي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ط.]، [د.ت.]، ص: 09.
- ⁴ ينظر: ادوارد ساير، مدخل للتعريف باللغة، ترجمة سعيد الغانمي، في "اللغة والخطاب الأدبي"، المركز الثقافي العربي، 1993، ص: 230.
- ⁵ جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، د.ب، ط 1، [د.ت.]، ص: 190.
- ⁶ أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م، ص: 15 (المقدمة).
- ⁷ أبو نصر بن حماد الجوهرى، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1987م، 339/1.
- ⁸ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، 215/5.
- ⁹ ينظر: السيد محمد بن السيد حسن، الراموز على الصحاح، تحقق: محمد علي عبد الكريم الرديني، دار أسامة للنشر، دمشق، سوريا، ط 2، 1986، ص: 28.
- ¹⁰ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، [د.ط.]، [د.ت.]، 90/1.
- ¹¹ المرجع السابق، 90/1.
- ¹² المرجع نفسه، 90/1.
- ¹³ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، الصحاحي في فقه اللغة، ومساثلها وسنن العرب في كلامها، منشورات محمد علي بيضون، ط 1، 1997م، ص: 25.
- ¹⁴ إبراهيم محمد أبو سكين، دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، د.ط، [د.ت.]، ص: 240.
- ¹⁵ أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، 31/2.
- ¹⁶ المرجع نفسه، 261/1.
- ¹⁷ ينظر: شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، تحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1415هـ، 42/15. والبيت من شواهد: المقتضب، المبرد، تحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، [د.ط.]، [د.ت.]، 102/1، والخصائص، ابن جني: 262/1.
- ¹⁸ الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، 153/4، وكذلك: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقق: عبد الحميد هندواي، المكتبة التوقيفية، مصر، [د.ط.]، [د.ت.]، 463/3.
- ¹⁹ أبو المظفر بن نصر الكتاني، البديع في نقد الشعر، تحقق: أحمد أحمد بدوي، مراجعة: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة، [د.ط.]، [د.ت.]، ص: 60.

- ²⁰ عبد العظيم بن الواحد بن أبي الإصبع العدواني، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقق: حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، ص: 268.
- ²¹ ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، [د.ط.]، 2004م، 39/2.
- ²² عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996م، 374/2.
- ²³ ينظر: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ، 792/1. وكذلك: والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 219/10. وكذلك: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية، [د.ط.]، [د.ت.]، 329/4.
- ²⁴ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية مرجع سابق الصحاح، الجوهري، 1041/3.
- ²⁵ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مرجع سابق، 91/2.
- ²⁶ الجوهري، الصحاح، مرجع سابق، 1988/5.
- ²⁷ ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مرجع سابق، 70/2.
- ²⁸ الخليل بن أحمد، العين، 282/3.
- ²⁹ ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987، 387/1.
- ³⁰ حوت <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

المصادر والمراجع المعتمدة في المقال (مرتبة ألفبائياً)

أولاً: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

1. إبراهيم محمد أبو سكين، دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، د. ط، [د.ت].
2. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، الصحاحي في فقه اللغة، ومسائلها وسنن العرب في كلامها، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1997م.
3. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
4. ادوارد ساوير، مدخل للتعريف باللغة، ترجمة سعيد الغانمي، في "اللغة والخطاب الأدبي"، المركز الثقافي العربي، 1993.
5. الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
6. جابر عصفور، آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 1997م.
7. جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

8. جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوقيفية، مصر، [د.ط.]، [د.ت].
9. جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، [د.ب.]، ط1، [د.ت].
10. ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب، تحقق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، [د.ط.]، 2004م.
11. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان، ط2، 1986م.
12. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، العراق، [د.ط.]، 1985م.
13. ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
14. السيد محمد بن السيد حسن، الراموز على الصحاح، تحقق: محمد علي عبد الكريم الرديني، دار أسامة للنشر، دمشق، سوريا، ط2، 1986.
15. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
16. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، تحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ.
17. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996م.
18. عبد العظيم بن الواحد بن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقق: حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة.
19. عز الدين صحراوي، اللغة العربية في الجزائر، التاريخ والهوية، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع 5، 2009م.
20. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 4، [د.ت].
21. المبرد، المقتضب، تحقق: محمد عبد الخالق عظيمية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، [د.ط.]، [د.ت].
22. محمد الصالح الشنطي، المهارات اللغوية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط4، 1996م.
23. محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
24. محمود فهي حجازي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ط.]، [د.ت].
25. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، [د.ط.]، [د.ت].
26. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، [د.ط.]، [د.ت.]، 561/1.
27. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، [د.ط.]، [د.ت].

28. أبو المظفر بن نصر الكتاني، البديع في نقد الشعر، تحقق: أحمد أحمد بدوي، مراجعة: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة، [د،ط.]. [د،ت.].
29. مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 2000م.
30. منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
31. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ.
32. أبو نصر بن حماد الجوهرى، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1987م.